راسخة ومخلصة بدون شك ، أن يعتبروا اليهود طائفة دينية . كان هذا صحيحا في الاساس ، وما زال صحيحا بالنسبة ليهود دول المشرق خاصة والى حد ما بالنسبة ليهود الولايات المتحدة (كنت أرى دائما في تركيب المجتمع الامريكي — لاسباب أجهلها جزئيا لاني لا اعرف الوضع جيدا — تركيبا مشابها للمجتمع اللبناني . فليس الانسان هناك امريكي فقط ، كما اننا هنا فرنسيون فقط ، بل امريكي عن طريق مجموعة قومية أو دينية أو قومية — دينية . فنحن نقرأ احيانا في الصحف اخبارا نستغربها كتحالف الايطاليين والبولونيين ضد اليهود والايرلنديين في انتخابات بلدية نيويورك مثلا) .

اعود للموضوع الاساسي فأقول ان على العرب ان يحللوا وضع الكيان اليهودي بشكل دقيق ، وليس هذا بالطبع شيئا سهلا . ففي فلسطين التاريخية ، لا يشكل اليهود الاسرائيليون طائفة دينية حسب رأيي . وتحديد هويتهم ليست سهلة : فربما كانوا شعبا جديدا ، أو قومية او مجموعة Ethnie يهودية — اسرائيلية (أو أية تسمية اخرى) ذات ثقافة مميزة . ولا نستطيع ان نجزم من جهة أخرى ان هذه المجموعة ستستمر ابديا كما هي ، فلا مجال للتنبؤ هنا ، ولا يستحيل ان تنفرط كما تشكلت حديثا . ولكننا نتكلم الان عن الحاضر . وواقع الاسرائيليين اليوم ليس دينيا ، فالعديد منهم ليسوا متدينين ويعانون كثيرا من سيطرة العناصر المتزمتة دينيا على المجتمع الاسرائيلي .

واذا اعترفنا بتواجد مجموعتين على أرض فلسطين التاريخية ذات ثقافتين مختلفتين ، فالحل لا يمكن ان يكون في حرية الممارسة الدينية التي تقدمها البرامج الفلسطينية . لنأخذ مثلا وضع قبرص حيث يعيش شعبان (أو قوميتان او مجموعتان ثقافيتان اذا شئت) اليونانيون والاتراك . هم بالطبع ينتمون الى دينين مختلفين ولكن هذا ليس العنصر الحاسم في الخلاف القائم . ومن المؤكد ان اعطاءهم الحرية الدينية لن يحل المشكل على الاطلاق .

فمن البديهي اذا أن تواجد « قوميتين » أو اكثر في بلد واحد يقتضي لتفادي قمع احداها للاخرى تمثيل كل مجموعة قومية على المستوى السياسي كمجموعة مميزة واعطائها امكانية الدفاع عن مصالحها وأهدافها .

لنأخذ مثلا آخرا : الاتحاد السوفياتي حيث تتواجد أكثر من مائتي قومية او عدد كهذا . لا ادعي على الاطلاق — بل بالعكس — ان مشكلة تعايش هذه القوميات قد حلت نهائيا . ولكن على الاقل ، حاولت الدولة السوفياتية ايجاد حل نظري ، فعددت القوميات والمجموعات الثقافية — وربما ليس على الشكل الامثل — وأوجدت برلمانا خاصا يحمل اسم سوفيات القوميات الى جانب السوفيات الاخر حيث التمثيل نسبي بغض النظر عن القومية والجنس . واكرر ان هذا الحل النظري لم ينه في الغالب كل المشاكل ، ولكنه على الاقل يحاول تحسسها والاجابة عليها . وهذا ما لا أراه في البرامج الفلسطينية .

كلمة أخرى حول بلد آخر : لبنان . أعلم ان العديد من العرب واللبنانيين يحتجون ضد الطائفية والتمثيل النسبي في أجهزة الدولة حسب الطوائف . وانا أقف معهم مبدئيا ، رغم اني اتساءل اذا لم يكن هذا الوضع انعكاسا للواقع اللبناني ، واذا ما كان الغاؤه فورا سيجري نوعا من الامتيازات لطائفة على اخرى . هذا مع اننا هنا نواجه تعددا في الطوائف الدينية وليس القوميات ، اذ ان اللبنانيين جميعا ذوو ثقافة عربية واحدة ، وهذا بالطبع ليس وضع فلسطين .

لقد حاولت التفكير مليا بموضوع البرامج الفلسطينية وطرحت على نفسي السؤال التالي : ما هو هدف أي برنامج ؟ وقد وضعت حتى الان أربع اجابات لتحديد فائدة البرنامج : **اولا** — يحاول البرنامج ان يكون مخططا لحل مثالي . وفي هذه الحال استنتج